﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤﴾ [الفرقان 13 - 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

مـنـازلُ أهـلِ الانحرافِ منازلُ خِزيٍ وإهانةٍ

لمّا ذُكِر في الآية السّابقة حالُ النّار معهم منَ التّغيّظ والزّفير من مكانٍ بعيد قبلَ أن يتلبّسوا بها؛ انتقل في هذه الآية إلى بيان حالهم عند إقحامهم فيها، واستقرارهم في مكانٍ ضيّقٍ منها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُلۡقُواْ﴾: (لقي) أصلٌ يدلّ على توافي شيئَيْن، ومنه المُلاقاة بين جانبَيْن أو طَرفَيْن، ويدلّ على طرح شيءٍ، ومنه الإلقاء، وهو طرحُ الشّيءِ ونَبْذُه[1]، والإلقاءُ بمعنى الطّرحِ والرّمي يعود كذلك إلى المعنى الأوّل؛ لأنّ الإلقاءَ للشّيء بمعنى طرحِهِ ورَميِهِ يجعلُه موافيًا ومُلاقيًا ومُقابلًا للمَوضعِ الذي طُرِح فيه.

2) ﴿ضَيِّقٗا﴾: (ضيق) الضَّيْق والضّيق - بالفتح والكسر - ضِدّ السَّعة، وغلب استعمالُ الضّيْقةِ في الفقر والبُخل والغَمّ ونحوِ ذلك[2]، والمكان الضَّيِّقُ: ضِدّ الواسع، وضاق الصَّدرُ: انقبضَ وخلا من فُسْحةِ السّرورِ، والأوّلُ ضيقٌ مادّيٌّ، والثّاني ضيقٌ معنويٌّ.

3) ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: (قرن) أصلٌ يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ، ومنه القِران والقَرَن، وهو الحَبْلُ الذي يُقرَن به شيئان[3]، والاقْترانُ كالازدواج، في كونه اجتماعَ شيئَيْن أو أشياءَ في معنًى منَ المعاني[4]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(2) السَّمين، عُمدةُ الحُفَّاظ: (ضيق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قرن).
(4) الرّاغب، المُفرَدات: (قرن).

وقوله: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾؛ أيْ: مجتمعين في قَرَن - أيْ: حبل - مُقيَّدين، فالتَّشديد فيه للتَّكثير[1].

4) ﴿ثُبُورًا﴾: (ثبر) الثُّبور: الهلاكُ، وأصله: المنعُ منَ الخير، يُقال: ما ثَبَرَكَ عن كذا؟ أيْ: ما صرفَكَ ومنعَكَ، ولا شَكّ أنّ الممنوع منَ الخير هالكٌ، وثبر الرَّجلُ: ذهبَ عقلُه؛ لأنّ مَن يَفقِدُ عقلَه يهلِكُ، ومنه المُثابرة على الشّيءِ: المواظَبة؛ لأنّ المواظَبة عليه تَصرِفُكَ وتمنعُكَ عمّا سِواه[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـن نَـبَـذَ الحقَّ وأولياءَه نُبِذَ في النّارِ وطُرِحَ

يُبيّن الجليلُ سبحانه خبرَ أولئك المشركين الذين كانوا يقيسون النّبوّة بالمال والجاه في قولهم: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [الفرقان: 8]، وأنّهم سيُطرحون منبوذين منَ المكان الضّيّق في النّار، حتّى يغيبوا في جوفها وباطنها، وسيُفْعَل بهم هذا الإلقاء، وهم مجموعون إلى أشباههم الذين قلّدوهم وأضلّوهم منَ الجنّ والإنس في قَرَنٍ واحدٍ ربْطًا وتصفيدًا؛ فإذا كانوا في هذا الموضع الصَّعب منَ العذاب دَعَوا على أنفسهم بالثّبور الذي يُفنيهم ويُريحُهم، فأُجيبوا بما يزيد يأسَهم ويُضاعِف ألَمَهم: لا تدعوا مَرّةً واحدةً، فثُبورٌ واحدٌ لن يُسعفَكم، وادْعوا ثُبورًا كثيرًا في تكراره، وكثيرًا لا حَدّ لكثرته؛ لأنّ سببَه من دوام العذاب لن يزولَ عنكم؛ فلن يُجديَ دعاؤكم في شيء، ولن يُغنيَ عنكم شيئًا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ جملةِ: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ﴾ ممّا قبلها:

الـجـمـعُ بين وصْـفِ حـالِ جهنّم معهم، وحالِهم فيها

جملة: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ﴾ معطوفةٌ على جُملة: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾؛ ليَجْمَعَ

(1) السَّمين، عُمدةُ الحُفَّاظ: (قرن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسَّمين، عُمدةُ الحُفَّاظ: (ثبر).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 206، 207.

بين وصْفِ مُلاقاتِها لهم، ووصفِ إلقائِهم فيها[1]، ويَدْمُجَ بين صورة توصيف ضجيج أهلِ النّار من قوله: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، ووصف داخل جهنّم بقوله: ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾، ووصفِ حالِ المشركين فيها بقوله: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾؛ تَفَنُّنًا في أسلوب الكلام[2].

دلالةُ الفعلِ ﴿أُلْقُواْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الإبهامُ وعدمُ الوضوحِ من جوالبِ الخَوفِ

جاء التَّعبيرُ بفعلِ الإلقاءِ بصيغةِ البناءِ لما لم يُسمّ فاعلُه في قوله: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا﴾؛ للدّلالة على الإكراهِ والإهانةِ، فهم لم يدخلوا مختارين؛ بل أُلْقوا فيها إلقاءً كما تُلقَى الأشياء المُبْتَذَلَة[3] بأمارة أصل فعلِ الإلقاء الدّالِّ على الطّرح والنَّبذِ ورَمي الشّيء[4]، وبناءُ الفعلِ لغيرِ المعلوم ترهيبًا منَ الفاعلِ وتخويفًا من بطشِه وشِدّتِه، وهم خَزنةُ النّارِ الغِلاظُ الشِّدّادُ على أهل الجحيم، فإنّ المُبْهَمَ مَخوْف كما قال تعالى في النّار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التّحريم: 6].

بلاغةُ الكنايةِ في التَّعبيرِ بالإلقاءِ:

طرحُ الشّيءِ وإلقاؤه من مياسيرِ الأعمالِ وأَمارةِ هوانِها

التَّعبيرُ بالإلقاءِ في قوله: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا﴾ كنايةٌ عنِ الإهانةِ والإجبارِ للمفعولِ، وعن يُسْر ذلك في تحصيلِه منَ الفاعلِ؛ لأنّ الإلقاءَ من مياسيرِ الأفعالِ، وهو علامةٌ على اقتدارِ المُلْقي، وعجْزِ المُلْقَى عنِ المقاومةِ والإرادة[5].

نُكْتَةُ التّعديَةِ بـ(مِن) دونَ غيرِه:

العذابُ يحصلُ من مبادئِ مَواقِعِه

لم يُقلْ في السّياقِ الكريم: (وإذا ألقوا فيها مكانا)؛ بل قال: ﴿أُلْقُواْ مِنْهَا﴾؛ ليَدُلّ على أنّ أهوال العذاب التي تجعلهم يتمنَّون الثّبورَ والهلاكَ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 354.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 333 - 334.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5257.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 354، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 334.

كائنةٌ بمُجرّد مُلاقاتهم مبادئَ مواقعِ العذابِ، فلا يحتاجون أن يتغَلْغَلوا في باطنِ النّارِ أو يغيبوا في جوفها؛ بل يكفي أن يُلْقَوا منها؛ أيْ: من أيِّ موضعٍ يكون مبدأ إلقائِهم منه، فالتّعدية بحرفِ الابتداءِ دلّتْ على ثلاثةِ أمورٍ؛ **الأوّل**: أنّ هذا الإلقاءَ المشروطَ هو مبدأ المقاماتِ في العذابِ التي يتحقّقُ بها الجوابُ في: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، فكيف بما بعد المبدأ منَ المراحلِ؟! **الثّاني**: أنّ شِدّةَ العذابِ حاصلةٌ منَ النّارِ ولو لم تَكن محيطةً بأهلها؛ بل بمُجَرّدِ الاقترابِ منها أو ملاقاة مكانِها، فكيف وهي محيطةٌ بالكافرين؟! **الثّالث**: أنّ إلقاءَهم يبدأ منها ثمّ ينتهي فيها، ولذا كانت محيطةً بهم، فهذا الإلقاء المَذكور في: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا﴾ هو مُقدّمةُ الإحاطةِ في قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت: 54].

دلالةُ نزعِ الخافضِ:

يتبوّأُ الكافِرُ مقعدَه في النّارِ فيحوزه كلَّه

انتصب ﴿مَكَانًا﴾ على نزعِ الخافضِ في قولِه: ﴿أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا﴾، والتّقدير: (أُلقوا في مكانٍ ضيّقٍ)، وهو إسقاطٌ سماعيٌّ لا قياسيٌّ، ولم يأتِ النَّظمُ على إثبات الجارّ؛ للدّلالةِ على تمكُّن الفعل منَ الظّرف في إيقاعه عليه؛ ليَدُلّ على الإغراقِ في المعنى؛ فكأنّ إلقاءَهم حاصلٌ في المكانِ كلّه لا في جُزءٍ منه، وهو من تصاوير شِدّةِ العذابِ[1].

نُكْتَةُ وصفِ المكانِ بالضيّقِ:

في اقترانِ العذابِ بالضّيْقِ شِدّتان

وصفُ المكانِ بالضّيّقِ في قولِه: ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ أفادَ زيادةَ الشِّدَّة؛ فاجتمع عليهم شِدَّتان: شِدَّةُ العذابِ، وشِدّةُ ضيقِ المكانِ، فكلّما ضاق عليهم المكانُ كان العذاب أشدّ، كما قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النّبأ: 30]، وهو دليلٌ على ضِدّه المُقابِل الثّابت بطريق اللّزوم؛ فإنّ السَّعة كما تستلزم الانبساطَ والانشراح، فإنّ الضّيق يستلزم الانقباض والانخذاء[2].

(1) الخطيب، التّفصيل في الإعراب: 9/ 315.
(2) الماتُريديّ، تأويلات أهل السُّنّة: 8/ 11، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 206.

بلاغةُ الكنايةِ في الوصف ﴿ضَيِّقًا﴾:

ضيقُ الأماكنِ يستلزمُ ضيقَ النّفوسِ

في وصفِ المكانِ بالضّيقِ كنايةٌ عن لازمِهِ من تمام الوحشةِ، وزيادةِ الكربِ، والعجزِ عنِ التّململ والتّفلُّت؛ فإنّ ضيق الأماكن يُؤدّي إلى ضيق النّفوس والاكتراب، والاغتمامِ والجَزَع والعَجْز، وهو كنايةٌ أيضًا عن تراصّهم بعضِهم فوقَ بعض؛ لأنّ ضيق الموضع يستلزم تكدّسَهم، وكنايةٌ عنِ الإغلاق والإطباق، فإنّ المكان إذا أُغلِق ضاق، والإغلاق وصفٌ من أوصاف النّارِ، يستلزم أن تَضيق بأهلها، كما في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾ [البلد: 20]، وكلّ هذه الكنايات مندمِجةٌ في زيادة الشِّدّة وتناهي البلاءِ[1].

توجيهُ القراءاتِ في ﴿ضَيِّقًا﴾:

توارُدُ القراءاتِ على المدلولِ الواحدِ لتأكيدِ المعنى وتنويعِ المبنى

قرأ الجماعة: ﴿ضَيِّقًا﴾ بتشديد الياء، وقرأ ابن كثير ﴿ضَيْقًا﴾ بسكون الياء، وكلاهما للمبالغة في الوصف، مثل: (مَيِّت) و(مَيْت)؛ لأنّ الضَّيِّقَ بالتّشديد صيغةُ ديمومةٍ وثُبوت تُفيد تمكُّنَ الوصفِ منَ الموصوف، وهو صفةٌ مُشتقّة مُشبَّهة باسم الفاعل، والضَّيْق بالسُّكون وصْفٌ بالمصدر، والوصف بالمصادر للمبالغة كأنّ الموصوف هو نفْس الوصف وعيْنُه[2].

توجيهُ المُتشابهِ اللّفظيّ في تباينِ البناءِ الصّرفيّ:

الضّيقُ من طبائعِ العذابِ وهيئةٌ لازمةٌ للنّارِ

جاء الوصفُ بالضّيق في قوله: ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ على وزن (فَيْعِل)، وكذلك في قوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125] بخلاف سورة هود في قوله: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12] مع أنّه في المواضع الثّلاثة هو الوصف مِن ضاق يضيق، فهو ضَيِّق، وتوجيه ذلك أنّ الصِّفة المُشَبّهة باسم الفاعل إن قُصِد بها الحدوثُ والتّجدّد والطّروءُ جاءت

(1) الزّمخشريُّ، الكشّاف: 3/ 267، والشّوكانيُّ، فتح القدير: 4/ 75، والمكّيّ النّاصريّ، التّيسير في أحاديث التّفسير: 4/ 308، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 6/ 27، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 179.

(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 262، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 343، وصافي، الجدول: 4/ 279، والسّامرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 191.

على وزن (فاعل)، وإن لم يقصد به الحدوثُ والتّجدّد؛ بل الثّبوت والدّيمومة بقيَ على أصله، فـ﴿وَضَآيِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ [هود: 12] جاء على وزن اسم الفاعل؛ ليدلَّ على أنّ الوصف حالٌ عارضةٌ لا ثابتة، وأنّه وصفٌ غيرُ مستمرٍّ للموصوف، بخلاف ﴿صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ [الأنعام: 125] ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ فجاء صفةً مُشبّهةً؛ ليدلَّ على ثبوت الوصف وعدم تغيُّره عنِ الموصوف، وأيضًا: اسم الفاعل ﴿وَضَآيِقٌۢ﴾ [هود: 12] يصِحّ إطلاقُه على الموصوف قبلَ الاتّصاف به أو بعد الاتّصاف به؛ أيْ: في غير وقتِ عدمِ التّلبُّس بالصّفة، فيصِحّ هو ضائق أمس أو ضائق غدًا، وهذا مبنيٌّ على ملاحظة الطّروء وعدم الثّبات، وأمّا الصفة المُشبَّهة ﴿ضَيِّقًا﴾ فلا يصِحّ إطلاقها إلّا في حالة ملابسةِ الموصوف للوصف، ولا يخفى ما في ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ من ثبوت نسبة الوصف للموصوف، كما تثبت الطّبائع وركائزُ الصّفات لأصحابها، فالصّفة ركيزةٌ في الموصوفِ لا تتحوَّل عنه[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بـ﴿مُقَرَّنِينَ﴾:

كلُّ قرينٍ بقرينِهِ مُلْتَحِقٌ

التَّعبيرُ بمادّةِ التّقرينِ في قوله: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾[2]؛ لأنّ كلّ كافرٍ يُقرَن بشيطانه الذي أغواه، فيُربَط به حقيقةً في العذاب، كما كان مربوطًا باتِّباعه في الدُّنيا، وكان الشَّيطانُ له قرينًا لا ينفكّ عنِ الوَسْوَسة له[3]، فدَلَّ به على أنّ الجزاء من جنس العمل، مع ما في اللّفظ من إشارةٍ إلى حالة المُلازمة والاقتران بينَ الأتباع والمتبوعين في الغَواية، وما يكون منِ استمرار تلك الحالة باشتراكهم في هيئة الاقتران الحِسّيّ في إذاقة العذاب؛ إذِ التّقرينُ هو جمعُ شيء إلى شيء في قَرَن، وهو الحَبل، وهو آلةُ الرّبط التي ينعقدون بها بعضُهم إلى بعضٍ[4].

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 6/ 28، والسّامرائيّ، معاني الأبنية، ص: 67.
(2) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 4/ 10.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 202.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 354.

دلالةُ التّضعيفِ في ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾:

التّضعيفُ يُفيدُ الشِّدّةَ في الفعلِ أو الوصفِ

لفظ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ منَ (التّقرين) على زِنَةِ (التّفعيل)؛ للدّلالة على الشِّدّة في الفِعل، وإحكام التّصفيد وقوّة الأغلال، فاللّفظ حالٌ من ضمير ﴿أُلْقُواْ﴾؛ أيْ: إنّ اقترانَ بعضِهم ببعض كحال الأسرى والمساجين حين يُقرَن عددٌ منهم في وثاقٍ واحدٍ[1]، فلا فكاكَ ولا مرونةَ ولا حركةَ إراديّة لهم، ولا راحةَ.

دلالةُ التّعبيرِ عنِ التّنادي بالدّعاءِ:

الآخرةُ دارُ مثوبةٍ وجـزاءٍ، لا دارُ عملٍ ورجاءٍ

عبّر عن تناديهم بالويل والثّبور بلفظ الدّعاء في قوله: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾؛ لأنّه لم يكن نداءً عاديًّا؛ بل كان دعاءً منهم على أنفسهم؛ فهو أشبه بدعاء العبادة الذي يشتمل على التّضرّع والتّمحُّض في الاستغاثة والاستذلال في طلب النّجدة، وهو شبيهٌ بالدّعاء التّعبّديّ؛ لأنّه صدر منهم على غير شَكٍّ وشِركٍ، وهو شَبيهٌ به لا نفسُه؛ لأنّهم في الآخرة، وهي دارُ جَزاءٍ لا تَعبُّد، ولمّا كان معنى الدّعاء: النّداء بأعلى الصّوت، فإنّ صدوره منهم كان بصيغة النّدبة: واثُبوراه[2].

فائدةُ إقحامِ الإشارةِ بينَ العاملِ ومعمولِهِ:

الوعيدُ عميقٌ في ألَمِه، بعيدٌ في مواقعِهِ

جاء إقحامُ الإشارةِ بينَ العاملِ ومعمولِهِ في قوله: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ لتأكيد نسبةِ دعائهم إلى موقعهم منَ العذاب؛ أيْ: دعاؤهم بالثّبور مُختصٌّ بهذا الإبعاد المكانيّ المَذكور، أو أنّ الدّعاء بالثّبور حقيقٌ بأن يُشار إلى محلّه بالبُعد؛ لأنّ آلام الوعيد عميقةٌ في معناها، وبعيدةٌ في مواقعها وسجونها؛ فاسمُ الإشارةِ في موقعه التّركيبيّ الوسيط بينَ العامل ومعموله يُشير إلى أنّ المُشار إليه بـ ﴿هُنَالِكَ﴾ والمقصودُ به محلُّ العذاب ومكانُه – هو سببُ دعائهم بالثّبور، فمكانُهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 334.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 334.

البعيدُ استلزمَ دعاءَهم بالإهلاك والإفناء والإبعاد[1]، واسمُ الإشارة للمكان بأداة البُعد تهويلٌ لشأن المكان وإلفاتٌ إليه، فيكون زيادةً في التّرهيب والإرعاب؛ لأنّ فيه تكرارًا للنّصِّ على مكان العذاب؛ ليُلْحَظَ ويُستحضَر، فباستحضارِ الأماكن تُستحضَر أحوالُ القاطنين فيها، كأنّه قيل: دَعَوْا في ذلك المكان الهائلِ والحالةِ الفظيعة[2].

بلاغةُ الكناياتِ في الدّعاءِ بالثّبورِ:

إنّما يدعو على نفسِهِ البئيسِ

في الدّعاء على أنفسهم بالثّبورِ الذي هو الاستئصال بالهلاك كنايةٌ عن لوازمَ عديدةٍ، فهو **أوّلًا**: كنايةٌ عن يأسهم الشّديد ويقينِهم في عدم النّجاة منَ العذاب، **وثانيًا**: كنايةٌ عن بشاعة العذاب الذي يجعل صاحبَه يتمنّى الفناءَ ويدعو به لنفسه،؛ أيْ: تَمنّوا حلولَ الهلاك؛ فنادَوه كما يُنادَى مَن يُطلب حضورُه، أو ندبوه كما يُندَب مَن يُتَحسّر على فقده؛ أيْ: تَمنّوا الهلاكَ للاستراحة من فظيع العذاب، **وثالثًا**: كنايةٌ عن حسرتهم على أنفسهم، وفواتِ الأوان عنِ استدراك ما فرّطوا فيه وأسرفوا، **ورابعًا**: كنايةٌ عن طول مقامِهم وتأبُّدهم فيه[3].

دلالةُ إيثارِ المصدرِ ﴿ثُبُورًا﴾ على زِنَةِ (فُعول):

أعظمُ رجاءِ أهلِ النّارِ الثّبورُ

التّعبير بالمصدر ﴿ثُبُورًا﴾ على زِنَة (فُعول) للدّلالة على حقيقة الفعل؛ مبالغةً منهم في إرادةِ تقحُّم الفناءِ والاستغراقِ في غياباتِ الموتِ، واستُعملَ الثّبورُ في الآيةِ دونَ الهلاك؛ للدّلالة على أنّهم يقصدون الفَناءَ، وهو الهلاكُ المُستدامُ الذي يصرفِهم عن الشّعورِ أبدًا، كأنّهم طلبوا هلاكًا يواظبون فيه على الرُّقاد المستمرِّ، فلا ينهضون بعدَه قطّ؛ فلأجل تلك المعاني الخاصّة عُبِّر بالثّبور دونَ غيره، كأنّهم طلبوا هلاكًا مخصوصًا؛ وهو الثّبور.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 2527.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 206.
(3) مكّيّ، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 8/ 5186، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 334، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 2527، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10377.

بلاغةُ المَجازِ في دعائِهِم الثّبور:

اليـأسُ قـريـنُ الهلاكِ

استُعملَ الدّعاءُ في مُناداتهمُ بالثّبور في: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ في معنى التّمنّي للهلاكِ، على طريقةِ المجازِ المُرسلِ بعلاقةِ الإطلاقِ والتّقييدِ، ودعاءُ الثّبور استعارةٌ مَكنيّةٌ؛ إذ نُزّل الثّبور منزلةَ شخصٍ يُطلبُ حضورُه ويُرتَجى إقبالُه، فشُبِّه الثُّبور به في صحّة ندائه ودُعائه.

موقع جملة: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ ممّا قبلها:

النّهيُ عن قليلٍ غيرِ حاصل، إلى كثيرٍ غيرِ ممكِن، مـن مُـؤكّـدات التّهكّم

جملة ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ استئنافٌ بيانيٌّ وقع جوابًا لسؤالٍ مُقدَّرٍ نشأ ممّا قبلَه، كأنّه لمّا قال: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ سأل سائلٌ: فماذا يُقال لهم عند دعائهم المَذكور؟ فأُجيبَ أنّه يُقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾، وعلى هذا يكون بينَ الجُملتيْن شِبهُ كمالِ اتّصال، ووقوعُها استئنافًا بيانيًّا هو عِلّة فصلها، أو الجملةُ مقولةٌ لقولٍ محذوف، تقديره: (فيُقال لهم)، وهذا القول المحذوف معطوفٌ على قوله: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، أو هذا المحذوف منصوب على الحاليّة من فاعل ﴿دَعَوْاْ﴾؛ أيْ: (دعوا حال كونهم مقولًا لهم: لا تدعوا اليوم)[1].

بلاغةُ الاستعارةِ التّمثيليّةِ في جملةِ النّهي:

التّنبيهُ بإمكانِ الإجـــراءِ، مع تـعـذُّره عـلى ما كـان ينبغي لو انتفى العُذْر

يصحّ إجراءُ التّركيبِ في جملةِ النّهي في قوله: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ على أنّه مقولٌ تمثيليٌّ لا حقيقيٌّ، كأنّه شُبِّه حالُهم بحال مَن يُقال له ذلك من غير أن يكون هناك قولٌ ولا خطابٌ؛ أيْ: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ حالَ كونِهم جديرين بأنْ يُقال لهم: لا تدعوا ثبورًا واحدًا[2].

دلالةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾:

التّعبيرُ بلفظِ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ في قوله: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ وتقييد النّهي

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 206، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 677، والخطيب، التّفصيل في الإعراب: 9/ 317.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 206.

استنباطُ المُخاطَبِ بحيثيّةِ الوقتِ لتحسيرِهِ

والأمر به في قوله: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ مع عدمِ خفاءِ أنّ ذلك الوعيد لا يكون إلّا في هذا اليوم الأُخرويّ الموعود - فيه مزيدُ تهويلٍ وتفظيعٍ، وتنبيهٍ على أنّه ليس كسائر الأيام المعهودة التي ينتهي عذابُها بثبورٍ واحدٍ، فهو تعظيمٌ لهذا اليوم وتمييزٌ لخصيصتِهِ في انتفاءِ الغايةِ عن أهوالِهِ، وفيه تعريضٌ بهم؛ لتذكيرِهم بسببِ عذابِهم، وهو التّكذيب بهذا اليوم، فلولا أنّهم كذّبوا به ما أصابهم ما هم فيه، ففي ذِكْر اليومِ زيادةُ إيلامٍ وتبكيتٍ لهم، وهو من بابِ تذكيرِ الجاني بسببِ هلاكِه؛ إغاظةً وتحسيرًا له[1].

دلالةُ تقييدِ المَنهيِّ عنه بالوصفِ: ﴿وَٰحِدٗا﴾:

طلبُ الاستكثارِ مـنَ الـعـذابِ اسـتـخـفـافٌ بأوجاعِ المُعذَّبين

تقييدُ معمولِ المَنْهيِّ عنه بوصفِ الوحدةِ في قولِهِ: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا﴾ يدلّ على أنّ النّهي يُراد به الوحدةُ العدديّةُ، لا الماهيّة الجنسيّة كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: 51]، فهو لا ينهى عن أصل الاتّخاذ؛ بل عنِ الثّنائيّة، ويدلُّ على إرادة العدديّة لا الجنسيّةِ المقابلُ له قولُه: ﴿ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾[2].

بلاغةُ الكناياتِ في التّركيبِ:

مَن يدخلِ النّارَ لا ينتهي بلاؤُه

في خطابِهم بقوله: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ كناياتٌ عديدةٌ منَ الإقناطِ والتّيئيسِ لهم منِ انقطاعِ العذابِ، ويزيد مقدارُ هذا التّقنيطِ بزيادةِ سببِهِ من عدمِ الجوابِ عليهم، وكنايةٌ عن عدم تناهي البلاءِ، كأنّه يُقال لهم: ادعوا فإنّه لا غايةَ لهلاكِكم؛ لأنّ هلاكَكُم أكبرُ من أن تدعوا مَرَّةً واحدةً، وهذا كنايةٌ عن عدم الانقطاع ودوام تواتر التّعذيب في كلّ وقت، واستمرارِ تنويعه وإحداثه، والتّركيب كنايةٌ أيضًا عن نفي أن يحدث بسبب ذلك القول خِفّةٌ واستراحةٌ؛ فإنّ المُعذَّبَ إذا صاحَ وبكى وجَدَ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 434.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 34.

بسبب بكائِه واستغاثتِه راحةً، ولا راحةَ هنا بتكثّر الاستغاثةِ بإرادةِ الفناءِ[1]، وهو كنايةٌ أيضًا عنِ التهكُّم بهم واستنزافهم، كأنّه يقول لهم: ادعوا ثبورًا كثيرًا لا غايةَ لكثرتِه لتَخْلُصوا به، وأنّى بالهلاك الكثير؛ فأفادت الكثرةُ عدمَ حصولِ الثّبور المرجوّ، وفي هذا الوجه مَجازٌ مُرسلٌ في جعل التّعديد والكثرة ملزومًا لعدم الحصول[2].

دلالةُ المجازِ في النّهي والأمرِ:

الخطابُ الطّلبيُّ يخرجُ عن حقيقتِهِ بانتفاءِ قصدِ التّحصيلِ عنه

النّهي في قوله: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾، والأمر في قوله: ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾؛ للإهانة والتّحقير، وزيادةِ الإيجاع والتّحسير، وهو من باب المَجاز المُرسَل علاقتُه: الإطلاقُ والتّقييدُ، ودليلُ خروجِ النّهي والأمر عن حقيقتهما: أنّه لا يترتّب عليه فائدةٌ ولا جوابٌ، ولا طائلَ من خطابهم به إلّا التّهكّمُ والإيلامُ، ويُؤيّده قولُه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: 21]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطّور: 16][3].

دلالةُ التّعبيرِ عن اسمِ الفاعلِ بالمصدرِ:

لا شيءَ يكفي في النّارِ، ولا شيءَ يَكفُّ عنها

الثّبورُ في قوله: ﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ المُراد به المُهلِك؛ أي: الشّيءُ المُثْبِرُ المُميت، فعُبّر عنه بلفظ المصدر ﴿ثُبُورًا﴾ وهو الهلاك؛ مجازًا للمبالغة في الاستغاثة، كأنّه لن يكفيهم في إراحتهم ممّا هم فيه سببُ الهلاكِ والموتِ؛ بل يحتاجون إلى جنس الهلاك كلّه بأنواعه وأفراده، حتّى يَنْجَعَ في إفنائهم وقطعِ العذاب عنهم، وإطلاقُ المصدر وإرادةُ اسمِ الفاعلِ مجازٌ مُرسلٌ، لعلاقةِ التّعلُّق الاشتقاقيّ[4].

نُكْتَةُ الإفرادِ في لفظِ الثّبورِ:

تُلتمَسُ في الدّعاءِ حقائقُ الأشياءِ

جاء لفظُ ﴿ثُبُورًا﴾ على صيغةِ الإفرادِ؛ لكونه مصدرًا يقع في

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 224.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 434، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 334.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 34.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 34.

القليلِ والكثيرِ، فيُفيد الجمعيّةَ والجنسيّةَ بما يُغني عن جَمعه والتّغيير في بنائِهِ، والتَّعبيرُ بالمصدرِ على بناءِ الإفرادِ هو الأصلُ والأبلغُ؛ لأنّه يُفيد حقيقةَ المعنى المستوعِبةَ لخصائص أفراده، والمصادِر لا تُجْمَع، وإنّما يُعبَّر عن معنى الجَمعِ بالوصفِ، كما يُقال: قعدتُ قُعودًا طويلًا، وضربتُه ضَربًا كثيرًا، فكأنّ المعنى: ادْعوا بالثّبور دعاءً كثيرًا، لأنَّ حبْسَكم على العذابِ سيدوم[1].

معنى التّنكيرِ في: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾:

التّنكيرُ في الصّفةِ والموصوفِ في قولِهِ: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ للعموم والشّمولِ والتّهويلِ والتّعظيم، كأنّه قيل: ثبورًا كثيرًا لا يحصرُه الإحصاءُ ولا آخِرَ له[2]، وهلاكًا مُتتاليًا شديدًا، لا قصورَ فيه.

دلالةُ تقييدِ الثّبورِ بالوصفِ: ﴿كَثِيرًا﴾:

وَصْفُ الثّبورِ المَدعوّ بـ﴿كَثِيرًا﴾ باعتبارِ تكريرِ الدّعاءِ بهِ، والثّبورُ واحدٌ في جنسِهِ لا يتعدَّد، فالكثرةُ باعتبارِ ترديدِهِ وتكريرِهِ، وهو كنايةٌ عن عدمِ حصولِ الثّبورِ؛ لأنّ انتهاءَ النّداءِ يكون بحضورِ المُنادَى، أو هو يأسٌ يقتضي تكريرَ التّمنّي أو التّحسّر[3]، أو وصف الكثرةِ باعتبارِ كثرتِهِ في أنواعِهِ وأفرادِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: 58]، فكأنّه ردَّ عليهم بخلافِ مقصودِهم تهكّمًا بهم؛ أيْ: لا تسألوا الهلاكَ الذي يُميتكم ويُريحكُم، فهذا هلاكٌ واحدٌ لا وجودَ له؛ بل اسألوا الثُّبورَ الكثيرةَ أنواعُه في العذاب والجحيم، بلا راحةٍ لكم ولا انقطاعٍ له.

تـكـرارُ الـشّيءِ نفسِهِ تكثيرٌ له

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 9، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ثبر).

(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 355.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 334.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»